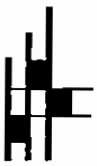

الباب الثالث

القاعدة ، داعش والدولة الإسلامية (النشأة والتطور)

تطور القاعدة:

قبل الغزو السوفيتي لأفغانستان لم تكن هناك قاعدة. ولكن الغزو أشعل حماسة الجماعات الإسلامية في أفغانستان للتصدي له تحت راية الجهاد. الجماعات الإسلامية الأفغانية لم تكن ذات نزعة حركية ولكن الغزو أثارها. وتقاطرت جماعات إسلامية من أطراف العالم الإسلامي بدعم غربي وعربي كبير.

الدعم الغربي للجهاد الأفغاني هدفه أن يقيموا للاتحاد السوفيتي «فيتنامه» في أفغانستان. وقد كان.

الشيخ أسامة بن لادن وجماعته هبوا للمشاركة في الجهاد في أفغانستان وأبلوا بلاءاً حسناً وصار يشار لأسامة على أنه «جيفارا» عربي.

بفضل هذا الدعم حصلت القاعدة على تمويل، وتنظيم، وتدريب لم يسبق أن حصلت عليه أي منظمة غير حكومية.

القاعدة رحبت بالاستعانة بالأمريكان لمحاربة السوفيت. ولكن في مرحلة لاحقة عندما تكونت عاصفة الصحراء ضد النظام العراقي رأوا أن الاستعانة بقيادة الكافر لقتال مسلمين حرام. بل اقترحوا على القيادة السعودية أن يكونوا هم من يحرر الكويت وشجبوا عاصفة الصحراء.

وفي مرحلة لاحقة كونت القاعدة الجبهة الجهادية لقتال الصهيونية والصليبية ووجهوا بأسهم على الولايات المتحدة لسببين:

الأول: أنها تهيمن على العالم الإسلامي وتدعم إسرائيل.

الثاني: أن نظم الحكم الاستبدادية في العالم الإسلامي تحظى بدعم أمريكي لاستمرارها. حقيقة اعترفت بها وزيرة الخارجية الأمريكية السيدة كونداليسا رايس في محاضرة في جامعة القاهرة في ٢٠٠٥م إذ قالت: «لمدة ٦٠ سنة دعمت بلادي الحكومات الاستبدادية بهدف المحافظة على الاستقرار وفي النهاية فات علينا أن نحقق أيهما».

القاعدة لا تنطبق عليها أوصاف الحركات الإرعابية المعهودة فقد اتخذت لقيادتها مركزاً. وتسلحت بأيديولوجية ذات حواضن في التراث الديني في المجتمعات المسلمة. أيديولوجية تجاوب معها كثيرون فأمكن تكوين القاعدة في أرض الرافدين، والقاعدة في الجزيرة العربية، والقاعدة في المغرب، وتحالفت معها حركات أخرى. وحتى الذين لم يكونوا تنظيمات تعاطف بعضهم مع القاعدة.

في أكتوبر ٢٠٠١م ورد أن وكالة المخابرات الداخلية السعودية أمرت بإجراء استطلاع سري في صفوف الرجال السعوديين الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥ إلى ٤١ سنة، حيث تبين أن ٩٥٪ منهم استحسنوا موقف أسامة بن لادن (مجلة نيوزويك، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٢م). ووردت نفس الإشارة في مجلة الإكونمست، ٢/ ٢/ ٢٠٠٤م). منذ حوادث سبتمبر في نيويورك وواشنطن أعلن الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش[١] حرباً سماها مرة «صليبية» عالمية على القاعدة.

شن حرب عسكرية دون مراعاة العوامل المغذية للقاعدة كانت له نتائج عكسية. قال السير ايفور روبرتس[٢] سفير المملكة المتحدة في ايطاليا: إن أكفأ

(١) جورج واكر (دبيلو) بوش George W. Bush (الابن) (ولد ٦ يوليو ١٩٤٦)، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثالث والأربعون (٢٠٠١ - ٢٠٠٩).

(٢) السير ايفور روبرتس (Sir Ivor Roberts)، (ولد ٢٤ سبتمبر ١٩٤٦): دبلوماسي بريطاني سابق والرئيس الحالي لكلية ترينيتي (Trinity) في جامعة أكسفورد.

صول تجنيد للقاعدة هو الرئيس بوش. إذا كان لأحد أن يحتفل بإعـادة انتخابـه في عام ٢٠٠٤م إنه القاعدة. (مجلة تايم ١٨/ ١/ ٢٠٠٥م).

لم يكن للقاعدة وجود في العراق قبل الغزو الأمريكي للعـراق في عـام ٢٠٠٣م. وقبل الغزو وجهتُ خطاباً للرئيس الأمريكي جورج بوش قلت فيه: «إنك لن تجد مقاومة عسكرية تذكر في احتلال العراق. ولكـن ظـروف الـبلاد سـوف تجعلـك تحقق نصراً عسكرياً سوف يعقبه حتماً إخفاق سياسي كبير لذلك لا تقدم على هذا الغزو».

واجه الاحتلال الأمريكي للعراق مقاومة من كثير من العناصر القبلية، والبعثية، والإسلامية في العراق وفي عام ٢٠٠٤م أعلـن أبـو مصـعب الزرقـاوي[1] تأسـيس تنظيم القاعدة في العراق.

هكذا نرى أن للحرب الباردة (١٩٤٨-١٩٩١م) دوراً مهماً في تطـور القاعـدة كما أن للأساليب الخاطئة ضدها دوراً في نموها ولاحتلال العراق كـذلك دوره في تمدد القاعدة.

نشأة داعش ثم الدولة الإسلامية:

احتلت أمريكا العراق دون إدراك العواقب الوخيمة لذلك.

حالفت أمريكا الأكراد وساعدتهم على السيطرة على إقلـيم كردسـتان العراقـي، واستطاع الشيعة بحكم إعدادهم ووحدة قيادتهم الدينية أن يسيطروا عـلى السـاحة السياسية العراقية.

هذه التطورات أشعرت السنة في العـراق بـالتهميش، فانـدفعوا يقـاومون الاحـتلال الأمريكي، ثم يقاومون الحكومة الطائفية بقيادة نوري المالكي (٢٠٠٦- ٢٠١٤م).

(١) أبـو مصـعب الزرقـاوي، أحمـد فاضـل نـزال الخلايلـة (١٩٦٦ – ٢٠٠٦م): أردني قـام بأعمـال تفجيرات خلال حرب العراق، مؤسس وزعيم «تنظيم التوحيد والجهاد»، والذي عرف لاحقـاً بـ «تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين» وظل زعيمه حتى وفاته.

كانت الفصائل الإسلامية بارزة في تلك المقاومة المسلحة وانضم إليهم جماهير حزب البعث المحظور والذي قدم لحلفائه دعماً من المال والسلاح. وانضم إلى هذه المقاومة عدد كبير من الضباط والجنود من الجيش العراقي المسرح. كان من الفصائل الإسلامية المنضمة لهذا التحلف جماعة التوحيد والجهاد، وهم فرع القاعدة الذي أسسه أبو مصعب الزرقاوي وصاروا قاعدة الجهاد في أرض الرافدين، وجبهة النصرة السورية، وغيرها. هؤلاء بعد مقتل أبو مصعب الزرقاوي في ٢٠٠٦م وخلفه أبو عمر البغدادي توحدوا تحت مسمى الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

التحقت بداعش جماعات كثيرة من خارج منطقة المشرق: أنصار الشريعة في تونس، وإمارة سيناء المصرية، وبوكو حرام في نيجيريا، والحركة الإسلامية في أزود بشمال غرب مالي، وأنصار الشريعة في ليبيا. انضمام هذه الإمارات والكيانات هو الذي جعل داعش تسمى نفسها: الدولة الإسلامية وتحظر اسم داعش.

أبو عمر البغدادي قتل في ٢٠١٠م. وخلفه أبو بكر البغدادي في ٢٠١٢م. بويع البغدادي خليفة للمسلمين في ٢٩/ ٦/ ٢٠١٤م.

الفرق بين القاعدة والدولة الإسلامية المزعومة:

كانت القاعدة في أرض الرافدين وجبهة النصرة السورية كلاهما تعتبران جزءاً من تنظم القاعدة الذي أسسه أسامة بن لادن وخلفه بعد مقتله د. أيمن الظواهري.

ولكن القاعدة لم تر أن وقت تكوين الخلافة قد حان، بينما داعش سبقت إلى ذلك وصار أسلوبها مسك الأرض وضمها لدولة الخلافة.

أيمن الظواهري يطالب أن تكون البيعة له ولكن أبو بكر البغدادي[1] بعد

(١) أبو بكر البغدادي (ولد يونيو ١٩٧١م): عراقي، هو إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي البغدادي قائد تنظيم القاعدة في العراق خليفة الدولة الإسلامية والمُلقب بأمير دولة العراق الإسلامية.

احتلال الموصل في العراق ومدن أخرى، والرقة في سوريا ومدن أخرى اعتبر ما فعله مميزاً ويستحق أن تكون البيعة له.

بين القاعدة، وداعش أو الدولة الإسلامية اندلع تنافس على قيادة الجهاد العالمي.

نشأت بينهما خلافات فقهية تدل على أن داعش أكثر تشدداً في أحكامها، مثلاً: «في حكم من يأتي بعمل مخالف للعقيدة ولا يدري حرمته» تقول عنهم القاعدة: إنهم مسلمون فاسقون. ولكن داعش تعتبرهم مرتدين كافرين. بل تعتبر داعش من لا يبايع خليفتها كافراً يستباح دمه.

ولكن أهم فرق بينهما في السياسة أن القاعدة تعطي أولوية لقتال الأمريكان بينما داعش تعطي أولوية لقتال الشيعة. هذا على الصعيد الإستراتيجي، أما على صعيد الشرعية فإن أبابكر البغدادي يؤسس أحقيته بالبيعة على القرشية، أي أنه قرشي النسب.

إن تشخيص ظاهرة الدولة الإسلامية المزعومة هذه بمفاهيم الإرعاب المعهودة معيب لأن الظاهرة تنطلق من حواضن دينية وثقافية واجتماعية تدعم أطروحاتها أهمها:

- رغم غرابة أساليب داعش والدولة والوحشية المبالغ فيها فإنها تلبي أشواق تقليدية لكثير من الناس الذين يتشوقون لإقامة الخلافة. ولتطبيق الشريعة وهم يعبرون بذلك عن أشواق تقليدية منفصلة عن الواقع المعاصر.
- صار للشيعة دولة مركزية ثورية استطاعوا بعدها أن يكتسبوا قوة ونفوذاً غير مسبوق بينما أهل السنة بلا ظهر ثوري يجدونه في هذه الدولة الوليدة.
- الدولة الوطنية غير العربية كما في تركيا ذات جدوى ونفوذ وكذلك أخريات. والدولة الوطنية غير السنية كما في إيران ذات جدوى ونفوذ. الدول الوطنية السنية العربية تعاني من هشاشة في الغالب.

داعش أو الدولة الإسلامية المزعومة تمثل خطراً على النظام الـدولي المعاصـر وتحدياً للدولة الوطنية في العالم العربـي السـني ولكـن الـدول الإقليميـة المهمـة كتركيا محمية منها بأسباب اثنيـة وثقافيـة، وإيـران محميـة منهـا بأسـباب طائفيـة وسوف نفصل خطرها الكبير على العالم العربي السني.. خطرها أنهـا تقـدم نفسـها باعتبارها المدافع الأقوى عن أهل السنة في العراق، وفي سوريا، وفي الـيمن، وأنهـا تمثل خلافة المسلمين السنة في وجه الإمامة الشيعية.